لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

هذا على انهُ لا بدّ لنا من الاعتراف بان لغة جرائدنا ولا سيما في هذا القطر قد نفضت عنها كثيراً من الركاكات العاميّة وجنحت الى تخيُّر الفصيح من الالفاظ والصحيح من التراكيب مما يدلّ على ان كتّابنا قد تنبهوا الى موضع اللغة مما يكتبون وانكشف لهم ان البلاغة سرٌّ من اسرار اللفظ قائمٌ بحسن انتقآء الكلمات وإلباس كل معنًى الثوب الذي يشفّ عنهُ ويمثّلهُ بكل تفاصيلهِ ودقائقهِ . لكن من العجب انهُ لا يزال في جنب اولئك فريقٌ من الكتاب لم ينتقلوا عن موقفهم ولم يزايلوا ما عُرفوا بهِ من الغثاثة واللحن والتورُّك على الالفاظ السوقية والتراكيب العاميّة بل قد تجد فيهم من يتبجح بمثل ذلك يزعم ان همَّهُ في تقرير الحقائق المعنوية لا في الاشتغال بهذه السفاسف اللفظية (بخ بخ) . وقد فات هذا القائل وامثالهُ ان اللفظ صورة المعنى وان « الحقائق المعنوية » اذا لم يَسَعها ما يمثلها من القوالب اللفظية لم تخرج من مخيّلة القائل الى منطقهِ بل كلما كانت تلك القوالب اصحّ وضعاً وأتمّ إحكاماً جآءت صور المعاني أوضح أشكالاً وانصع ألواناً وبهذا تتفاضل طبقات الكتاب حتى تجد كلام بعضهم أشبه بالالغاز والرُّقى وترى كلام غيرهِ يمثّل لك المعاني تمثيلاً حتى كانما يعرضها عليك اشباحاً محسوسة . وما ننكر ان هذه المنزلة الاخيرة لا يبلغها الاّ افرادٌ من أقطاب البلاغة في كل عصر ونحن لا نطمع ان نراها في كثيرٍ

من كتابنا الحاليين فضلاً عن امثال الطبقة المذكورة لكن لا اقلّ من ان يعبّروا عن كل معنى باللفظ الموضوع لهُ فلا يسمون الرأس كتفاً والسيف حجراً ولا يضعون الفعل المعلوم مكان المجهول واللازم مكان المتعدي والمفرد مكان الجمع وهلمَّ جرًّا على ما مرّت بك مُثُلهُ فيما تقدم . والا فاذا كان كل كاتب يضع لنفسهِ لغةً خاصَّة ويجازف في استعمال الالفاظ على ما يخيَّل لهُ او على ما سبق الى فهمهِ فكيف تبقى اللغة لغةً تصلح للتفاهم بين جمهور اربابها وما القاعدة التي يُرجَع اليها والحالة هذه في فهم مقاصد المتكلم

ولتقرير ذلك لا بأس ان نورد عليك امثلةً اخر مما يختصّ بهذا الباب لتعتبرها بالقياس الى اغراض قائليها وتنظر مكان «الحقائق المعنوية» من اللفظ الذي عُبّر بهِ عنها

وذلك كقول القائل « خافوهُ لئلا يكون قادماً بدسيسة » ولا نزيد المطالع علماً ان اصل « لئلاّ » لأَنْ لا بمعنى لكي لا فيكون تأويل العبارة انهم خافوهُ « لكي لا » يكون قادماً بدسيسة . وانظر ماذا يُفهَم من هذا القول

ومن ذلك قول الآخر « يجب علينا التمسك بهِ الى آخر رمق من حياتنا التي نفديها عن طيب خاطر فداءً لهُ » ولا نخال المطالع في حاجةٍ ان نفسّر لهُ معنى « نفديها » ولينظر ما اراد الكاتب بهذا اللفظ وكيف تكون مفديّةً وفداءً في وقتٍ واحد وكيف يمكن الجمع بين هذين المعنيين

وقول الآخر « وكان عليهِ قباءٌ بسيط الزيّ اشبه بالقفطان » وصريح

هذا اللفظ ان القبآء غير القفطان والصحيح ان كليهما شيء واحد انما القفطان كلمةٌ تركية واصلهُ « قفتان » بالتآء وبهِ فسّر عاصم « القبآء » في ترجمة القاموس

ومن ذلك قول الآخر « قباب نواقيس غرناطة » يعني بالنواقيس الاجراس وانما النواقيس جمع ناقوس وهو كما فسرهُ صاحب القاموس خشبةٌ كبيرة طويلة تُقرَع بخشبة قصيرة يقال لها الوبيل ايذاناً بوقت الصلاة . وكل احدٍ يعلم ان هذا النوع لا وجود لهُ في كنائس غرناطة بل هو مما لا يُعرَف لهُ وجود في جميع اوربا غير ان الكاتب لم يكتفِ بذلك حتى جعل محل النواقيس في قباب الكنائس وهو اغرب

وقول الآخر « رأتهم يقطعون من الضعف قوةً » وكانهُ اراد بذلك القول المشهور «فلان يظهر من الضعف قوة » فعبّر بلفظ «القطع» وليُنظَر بعد ذلك كيف يكون تأويل المعنى

وقول الآخر « فما راعها الا والحبّ جارٍ مجرى الدم في مفاصلها » وهو من الكلام الذي اراد قائلهُ ان يقلد بهِ الفصحآء فاخطأ المرمى ونقل العبارة من العربية الى الكردية

وفي طريقهِ قول الآخر « اصبحت وتكاد تكون عظماً بالياً ». والله اعلم كيف يفسّر هذا القول

واغرب منهُ قول الآخر « اسال لهى الفصاحة على لهواتها » قلنا اللهى واللهوات يجوز ان يكون كلاهما بفتح اللام فيكونان جمع لَهاة وهي اللحمة المتدلية في اقصى الحلق او بضمها فيكونان جمع لُهوة وهي العطية وليتأمل

المطالع ماذا يمكنهُ ان يستخرج من هذا التركيب . وما نظن الا ان الكاتب احب ان ينسج على مثال قول القائل

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما تجيد العطايا واللُهَى تفتح اللهَا

اللُهى الاولى بالضم بمعنى العطايا والثانية بالفتح جمع لهَاة الفم واراد بها الافواه على تسمية الكل باسم الجزء فجآء بهذا اللغو الذي لا يفهمهُ انسٌ ولا جان

وآية الآيات في هذا الباب قول القائل

على مثلهِ القى الفخار « رحالهُ » ومَن غير نصر الله اولى بذا الفخرِ

فلم يزد على ان جعل ممدوحهُ بعيراً تُلقَى عليهِ الرحال ثم منّ عليهِ بان ذلك فخرٌ لا يحقّ لغيرهِ « من الرجال » ٠٠٠٠٠ (ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

— ٦ —

ومن اعجب العجب ان المشترعين والمصلحين القدمآء مع كونهم افراداً وُجدوا قبل اوانهم وهم اكثر حكمةً واسمى ادراكاً من العامّة الضالة وقد ادّعى اكثرهم انهم مؤيدون بالوحي معزّزون بالالهام مسيّرون بالاوامر والمناهي العلوية قد جارُوا مشارب رجال اعصارهم فجارُوا على المرأة ولم يعدلوا وسلكوا بما سنوا من الشرائع ووضعوا من النواميس مسلك من يريد الأَثرة للرجل في كل طورٍ من اطوار الحياة كانهم يريدون ان